التفاعلية في الخطاب السياسي ضمن متغيرات البيئة الافتراضية
نحو مساءلة تداولية للخطاب السياسي الافتراضي

Interactivity in Political discourse within the virtual environment
Towards a deliberative accountability of virtual political discourse

د.حسين نايلي*
جامعة أم البواقي، الجزائر، houcine.naili@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال:10/05 / 2021 تاريخ القبول2021/11/03 تاريخ النشر: 2022/01/01

ملخص:
بعد ولوجه للبيئة الرقمية المنتشرة في كافة المناحي، اكتسى الخطاب السياسي الصفة الافتراضية بما فيها من مواكبة التطور من جهة و ضمان الوصول و التبليغ والتأثير، فقد استفاد من الجوانب التفاعلية التي أتاحتها البيئة الافتراضية على اختلاف تطبيقاتها، فالمتلقي في هذه البيئة عنصر فاعل لا يكتفي بالتلقي إنما يشارك ويحلل ويناقش وينقد ما يتلقاه من خطابات، الأمر الذي أذاب الحدود و الفواصل بين المرسل والمتلقي، فقد غيرت البيئة الافتراضية من الأدوار الاتصالية ومن درجة أهمية كل منها. فأهمية الرسالة هنا لا تتجاوز أهمية تلقيها، فمن أراد فهم الخطاب السياسي الافتراضي فإن هذا لن يحدث بعيدا عن فهم ما رافقه من تفاعل و من أراء ربما تشكل إضافات له وربما تعارضه، وهو بالضبط اشتغال المقاربة التداولية، لهذا جاء هذا البحث لاقتراح منهجية قادرة على مساءلة الخطاب السياسي ضمن متغيرات البيئة الافتراضية.

الكلمات المفتاحية:
الخطاب السياسي – البيئة الافتراضية – الخطاب السياسي الافتراضي – المقاربة التداولية – التفاعلية.

Abstract:
After gaining access to the digital environment in every domain, political discourse has by default gained the virtuality feature, including keeping pace with the development and ensuring information and influence,and benefitted from interactivity offered by the virtual environment with its various applications. The receiver in thevirtual environment is an active actor,not only a passive one; he rather takes part, analyses, discusses and critiques what he receives. Which eliminates boundaries, and divides between the sender and the receiver; and leads to an exchange of roles between them,a continuous interactive dialogue will take place.The virtual environment has altered both the communicational roles and the degree of importance of each part.The prominence of the message here does not overlapreceiving it, and understanding the virtual political discourse cannot bebeyond the interaction, the views that go along with, and the shift from understanding its content to understanding its use by the receiver, which refers exactly to the pragmatic approach scope.Thereforethis research suggests a methodology able of questioning political discourse within the virtual environment changes.

Keywords:
political discourse-virtual environment-virtual political discourse–pragmatic approach–interactivity

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

لقد تحولت البيئة الافتراضية إلى حقيقة واقعية مع سيادة شبكة الانترنت وبعد الطفرة الهائلة التي جلبتها الثورة التقنية وشيوع استخدامها، فقد خلقت هذا العالم الذي لا يعترف بالحدود الجغرافية والسياسية للدول ولا بسيادتها نظرا لكونها أهم متغير تكنولوجي واقتصادي واجتماعي للعقد الأخير، وانعدام صفة التملك لشبكة الانترنت جعلتها فضاءا افتراضيا عملاقا مفتوح على مصرعيه تغيب فيه الدقة و الهوية. إن الوظيفة التأثيرية و الغاية التبليغية التي يسعى إليها الخطاب السياسي حتمت على القائمين عليه انتقاء أنجع الوسائل والوسائط لطرح أفكارهم ورسائلهم وبرامجهم السياسية، ولما انخرط العالم بكل جزئياته ضمن متغيرات الفضاء الافتراضي بأدواته الرقمية و محركاته الشبكية، كان من الإرغامات على الخطاب السياسي أن يكون جزءا من هذه البيئة الافتراضية على اختلاف تمظهراتها، هذه البيئة التي جعلت من الخطاب السياسي مختلفا شكلاً ومضموناً وطرحاً، فأصبح المضمون السياسي جزءا من هذا الفضاء بدعوى المعاصرة و المواكبة والاستفادة من مزايا هذه البيئة الافتراضية، الأمر الذي جعل منه ذا خصوصية رقمية وافتراضية تختلف عن الخطاب السياسي الكلاسيكي المعروف قبل هذا الانخراط الافتراضي، ولعل أهم خصوصية هي خروج متلقي الخطاب السياسي من دائرة التلقي إلى دائرة المشاركة في بناء وتوجيه مضمون الخطاب السياسي عن طريق التطبيقات التفاعلية التي تتيحها مظاهر البيئة الافتراضية، فلم يعد المستخدم يكتفي بقراءة أو مشاهدة الخطاب السياسي، بل أصبحت البنى التفاعلية والتعليقات و الآراء المتداولة افتراضياً على الخطاب من اهتمامات المتلقي و ربما مؤثرة في توجهه السياسي أكثر من المنشور والخطاب ذاته. وهو ما يدخل ضمن استعمالية الخطاب على حد تعبير الدرس التداولي. من هنا كانت المقاربة التداولية من أنجع المنهجيات في مساءلة الخطاب السياسي الافتراضي، على اعتبار أن المتلقي هو الحلقة الأقوى في الخطاب السياسي لأن هذا الشكل من الخطابات لا يكتفي بتحقق الوظيفة التبليغية إنما يتجاوزها لتحقيق الوظيفة التأثيرية، هذه الوظيفة التي تغيرت بتغير البيئة والوسيلة فلم يعد المتلقي متلقياً فحسب إنما صار شريكا في الرسالة وفي مناقشتها وفي توجيه الآراء حولها، من هنا كانت المقاربة التداولية محتوية لهذا النوع من التلقي، إذ لم يعد المحلل السياسي أو متلقي الخطاب أو حتى السياسي نفسه يكتفي بقراءة الخطاب لفهمه، إنما صار لزاما عليه التوجه نحو ردود الفعل والبنى التفاعلية التي أحدها المستخدمون لمعرفة مدى تحقق غاياته من الخطاب المنشور من جهة، ومعرفة حقيقة فهم و توجه جمهور الخطاب من المستخدمين في البيئة الافتراضية، فقد تحول الحديث من الخطاب إلى أبعاد الخطاب التي يترجمها المتلقي بتفاعله مع الخطاب، فقد صرنا نتحدث عن التعليق أكثر ما نتحدث عن مضمون الخطاب نفسه، من هنا جاءت هذه الدراسة لاقتراح منهجية لفهم هذا النوع من الخطاب بالنظر إلى خصوصياته الرقمية والافتراضية وحتى التقنية، بتجاوز فهم خطاب المرسل إلى فهم خطاب المتلقي في سيرورة غير متناهية من الخطابات و الآراء، فقد تتوجه التداولية إلى قول متلقي الخطاب أكثر مما يقوله الخطاب نفسه.

لذلك جاء البحث لتثبيت المقاربة التداولية لفهم الخطاب السياسي ضمن متغيرات البيئة الرقمية ذات الخصوصية التفاعلية لفهم مضمونه ليس كما أراده المرسل، إنما كما فهمه المتلقي، من خلال المحاور التالية:

- **أولا:** أبعاد الخطاب السياسي ومجالاته.
- **ثانيا:** الخطاب السياسي الافتراضي و خصوصيات الرسالة والتلقي.
- **ثالثا:** المناحي التفاعلية للخطاب السياسي عبر البيئة الافتراضية.
- **رابعا:** المقاربة التداولية في دراسة التفاعلية حول الخطاب السياسي.
- **خامسا:** استنتاجات.

أولا: أبعاد الخطاب السياسي ومجالاته:

الخطاب السياسي حقل للتعبير عن الآراء واقتراح الأفكار والمواقف حول القضايا السياسية من قبيل شكل الحكم كالديمقراطية واقتسام السلطة والفصل بين أنواعها، ويعتبر الخطاب السياسي خطابا إقناعيا يهدف إلى حمل المخاطَب على القبول والتسليم بصدقية الدعوى عن طريق توظيف حجج وبراهين، ويمكننا اعتباره مؤقتا خطابا سياسيا، عندما يقال من طرف رجل سياسي في هدف سياسي (Baylon, 1996, p248) .

وهو ما عبر عنه "لازويل" بأن دراسة السياسة هي دراسة ذوي التأثير وتأثيرهم ...

يشتمل الخطاب السياسي على عناصر الأساسية يقوم عليها، فهو ليس مجرد نص خطابي يكتب ثم يعرض على مستمعين وينتهي الأمر، إنما هو نص معقد من حيث البنية رغم السهولة التي يظهر بها إذ يحرر بناءا على خلفيات ينطلق منها الرجل السياسي وكذلك على الأهداف التي يريد إصابتها، ونوجزها فيمايلي:

ـــ **أهمية الكلمة:** إن انتقاء الكلمة فيه عمل بالغ الأهمية، فالكلمة البسيطة الهادفة تعمل على تحسين الفهم بين الحاكم والمحكومين، لهذا فإن على الحاكم أن يكون فصيح اللسان دقيقا في التعبير عن مايريد إيصاله للمحكومين، وهذا ما يوضحه "تودسيديد بريكس" إذ يؤكد أن الرجل الذي يعرف التفكير ولا يعرف التعبير عن ما يفكر به، هو في نفس المستوى مع ذلك الذي لا يعرف التفكير (Boudroaggard,1985, p16).

ـــ **أهمية البلاغة:** يتم استعمال البلاغة في الخطاب السياسي بهدف الإقناع، فالخطيب يطور الأدلة والبراهين من أجل الوصول إلى استنتاجات وذلك باستعمال نظام معين..

يفعل ذلك رجل السياسة من أجل كسب وتحسين العلاقة بينه وبين الجمهور المتلقي، فاستعمال لغة سهلة ومفردات لا تحتاج إلى الاستعانة بالقاموس لفهمها وتسمح بشرح الأفكار المعقدة حتى لو اضطر لاستعمال اللغة العامية، بمفرداتها القاعدية والأساسية واليومية. ويؤكد ذلك "جون ماري كوتري" بقوله خطاب سياسي جيد واتصال سياسي جيد، هما معادلة لموازنة واحدة، فإيصال كل شيئ بالعامية هو الحكم بإيصال القليل من المعلومات، أما قول كل شيئ بلغة المختصين فهو أن تكون متأكدا أنك لن تفهم شيئا (Cottet, s.a.e ,p27) .

ـــ **أهمية الإقناع:** إن الهدف الأساسي من أي خطاب ومن بنائه الاستراتيجي خلال الإلقاء هو الإقناع وجعل المتلقي يستجيب بشكل إرادي لمضمون الرسالة السياسية. ويعرف "أودنيال وكيل" الإقناع على أنه عملية تفاعلية معقدة، يرتبط فيها المرسل والمتلقي برموز لفظية وغير لفظية، من خلال هذه الرموز يسعى المقنع أن يؤثر لغير استجباته (أودونيل، 1413 هـ ، ص96).

ويتمظهر الخطاب السياسي في العديد الأشكال على النحو التالي:

ـــ **خطاب جماهيري:** وهو خطاب قائم على انتاج وفصل الدوائر الخاصة والعامة، فهو خطاب موجه إلى قاعدة جماهيرية مرتبطة بجماعة معينة، ويرتبط بمجموعة من المظاهر التي لها طابع جماعي، سواء تعلق الأمر بالتنظيم أو التنظير، كالاجتماع السياسي، واللقاءات الجماهيرية التعبوية المفتوحة أو المغلقة، الحوارات والمناظرات السياسية والمؤتمرات الحزبية والبلاغات والبيانات، والمنشورات والتوصيات والحملات الانتخابية وحلبات عامة للبرلمان وغيره (العماري، 2005، ص90).

ـ **خطاب قاعدي:** الموجه إلى القاعدة الشعبية وهي مجموعة من الأفراد أو المواطنين ضمن تنظيم اجتماعي معين، غير أنه لا يعني بأي حال من الأحوال الإيديولوجية أو الفلسفة السياسية (طبي، 2012، ص 16).

ـ خطاب استراتيجي:خطاب يتوجه إلى المتلقي بالنظر إلى خصوصياته الثقافية و الإيديولوجية (طبي، ص 16).

ـ **خطاب سجالي:** وفيه التركيز على أليات التلفظ في الخطاب السياسي، التي قد تتعدى الإقناع إلى الإفحام. فالسجال هو عماد الخطاب السياسي، فالمتلقي يكون إما معارضا أو وسيلة لنبذ المعارض (العماري، ص92).

ـ **خطاب تحويلي:** هو خطاب يخلق النقاش حول التدابير الواجب اتخاذها والاستراتجيات الواجب تبنيها، قصد اتمام تنظيم مجتمع في تحول مستمر (العماري، ص94).
ـ **خطاب معرفة:** هو معرفة متعددة التلوينات، تختلف باختلاف الخطاب نفسه، لكن هدفها هو تدبير التنظيم الاجتماعي عن طريق مجموعة من الإجراءات، كالبيروقراطية أو الإحصاء أو استطلاعات الرأي وغيرها. إنه بكل بساطة على حد تعبير "عبد الرحيم العماري" مؤسسة لسانية تمنح معرفة سياسية (العماري، ص94).
الخطاب السياسي يعتبر ترميزا إيديولوجيا يتخذ من العلامات أداة بيانية له بالاضافة إلى اعتماده على المفاهيم والمتغيرات الثقافية، ويعمل من خلال كل ذلك على إزالة الجدار الموجود بينه وبين الجمهور، فالخطاب السياسي علاوة على كونه خبرا إعلاميا يحدد العلاقة الموجودة بين الحكام والمحكومين فهو توظيف لمواقف فكرية لتكوين وسائل الاقناع لدعم وجهات نظر معينة. (بوفليجين، 2005، ص76).
ثمة ضرورة ماسة تقتضي تسليط الضوء على ماهية الخطاب السياسي الحالي الذي يبتعد كثيرا وفي مجمل حالاته عن المعطى العلمي في ماهية الخطاب وذلك من خلال بعض المفاهيم الأساسية التي باتت تشكل هذا النمط من الخطابات والذي أضحى بحاجة إلى الدراسة والتحليل، عبر الاستعانة بالنظريات اللغوية أو اللسانية.
فالخطاب هو إنجاز في الزمان والمكان، وقيامه يقتضي وجود شروط من أهمها المخاطَب و المخاطِب، وتحديد كيان الخطاب ومكونات تعلن عن حدوثه وهي: الأصوات والمفرادات والتراكيب والدلالة والتداول، وإذا كان ذلك فإن للخطاب وجود فيزيائي، لأن اللغة ظاهرة فيزيائية إلى جانب كونها ظاهرة اجتماعية وتعبيرية وتواصلية، وهي بنية تحكمها علاقات تعلن عن انتمائها إلى كيان لغوي متماسك عبر نسيج من الكلمات مترابطة فيما بينها، وبهذا يكون الخطاب نظاما من العلامات الدالة ظاهرا وباطنا (موساوي ،2011، ص17).
لا يكون الخطاب سياسيا في حد ذاته بل وضعية التواصل التي تجعله كذلك... وبما أن انتاج المعنى مرتبط بالتفاعل فإن طرق هذا الأخير وهوية المشاركين في الخطاب هي التي تتحكم في بناء الفكر السياسي(بولحية، 2012، ص19).

حددت الباحثة "غريبر" أربع خصائص رئيسية تميز الخطاب السياسي وتجعله مؤثرا ومقنعا للأخر، وهي تتعلق بأربعة محاور:

- **مضمون الخطاب:** هو خطاب عام يتعامل مع قضايا الجمهور واشتغاله.
- **مصدر الخطاب:** هم صانعوا السياسة المؤثرة في الأحداث لقربهم وتحكمهم في وسائل الإعلام والتواصل.
- **وسائل انتشاره:** وسائل الإعلام السمعية والبصرية والمكتوبة، وأيضا ما تتيحة الانترنت للسياسي حاليا من تجزيئ للخطاب السياسي إلى مجموعة بشرية محددة تساعد المرسل السياسي على توسيع دائرته الاتصالية وتبليغ خطابات منسجمة بشكل مباشر مع خصوصيات الجمهور المستهدف.
- **المتلقي:** إما أن يون نخبويا يقابل بالدراسة والتحليل والتأويل من طرف هذه النخب، وإما أن يكون من عامة الشعب، حيث يستمع إلى الخطاب ويتداوله وقد يقتنع به بسبب الدعاية دون نقد أو دراسة (فتح الله، 2002، ص 81).

إن الخطاب السياسي هو خطاب مهم للغاية، فهو يتعامل مع المشكلات الكبرى للحياة العامة ويصفها، ثم يشكلها، فقد أصبحت الصور اللفظية المصدر الرئيسي لفهم الواقع السياسي، وأساس العمل الرسمي أو عدم العمل، وأساس شعور الشعب بالتفاؤل أو التشاؤم، بالرضا أو السخط حول سير الحياة السياسية (المريط، 2010، ص 31-32).

ومن جهة أخرى لا يهتم الخطاب السياسي كثيرا بالتغيير المعرفي، أو نقل الحقائق الماثلة على الأرض، بقدر ما يهمه تدعيم موقف السياسي وصورته وبرنامجه ونفوذه، ولهذا فهي ليست لغة صريحة، بل لغة متلبسة حافلة بالمعاني المتعددة والتفسيرات الهادفة إلى استثارة النفوس بغية خدمة الأهداف السياسية القائمة (المريط، ص 32).

يحضى الخطاب السياسي بخصوصية في مضمونه و في مصدره وفي غايته لأنه خطاب مدروس بعناية وموجه لجمهور محدد لا مجال فيه للاعتباطية، الأمر الذي يجعل منه خطابا راقيا في أدائه، و سهل بسيط في أسلوبه.

ثانيا: الخطاب السياسي الافتراضي و خصوصيات الرسالة والتلقي:

إن الرسالة الإعلامية تعني المضامين العديدة، التي يطمح المرسل إلى أن يوصلها إلى المستقبل بغرض إحداث أثر معين، ويعدد "محي الدين عبد الحليم" بعضها في تعريفه للرسالة الإعلامية بقوله أن : "الرسالة هي الأفكار، والمفاهيم، والإحساسات، والمهارات، والاتجاهات التي يرغب المرسل في إشراك المستقبل فيها. فالحقائق والاتجاهات الفكرية والأفكار الجديدة التي يقدمها رجل الإعلام في كلمات أو صور أو إشارات رمزية أخرى، تعتبر رسائل إعلامية يرغب المرسل في إشراك المستقبل فيها" (عبد الحليم، 1984، ص 33- 34)، أما "أحمد زكي بدوي" فيحصر مضمون الرسالة "في الفكرة التي يصوغها المرسل في عقله في شكل يمكن إدراكه من المرسل إليه" (زكي بدوي، 1985، ص105).

فالفكرة بالنسبة إليه هي: " أساس العمل الإعلامي، وقد تكون سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ويجب أن تكون واضحة ومفهومة، وأن تتمكن من أن تحقق فعلا التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب من المرسل إليه، وأن تخدم مصالحه وأن يكون في حاجة إليها وتتماشى مع الصالح العام " (زكي بدوي، ص 85).

إذا كانت الرسالة الإعلامية بهذا الشمول فإن الرسالة السياسية ذات مضمون وهدف متخصص، وبالنظر إلى الرسالة السياسية الافتراضية فإن الرسالة ذابت في الوسيلة لتحقيق خطاب سياسي افتراضي، وأهم مايختص به هذا الأخير هو انفلاته من يد رجال السياسة إلى المستخدم العادي الممارس للسياسة وغير الممارس وربما الهاوي أو الناقد .

ولكن إلى أي مدى نحن بعيدون في الواقع عن مشروعات القوانين التي يناقشها المواطنون ويصوتون عليها عبر فايسبوك وتويتر بدلا من النواب والشيوخ المنتخبين... فمن ناحية تسمح أحدث وسائل الإعلام الجديدة، بالمزيد من المحتوى الذي ينتجه الأفراد أكثر بكثير من وسائل الإعلام الأقدم التي يسيطر عليها المحررون والمنتجون. ومن ناحية أخرى فإن أحدث وسائل الإعلام الجديدة تحت سيطرة أشخاص يتجاوزون سيطرة المستخدم في النهاية، هم مالكو فيسبوك، تويتر، يوتيوب، وبقية الوسائل، وهو ما يجعل أحدث وسائل الإعلام الجديدة، كما هي حاليا مناسبة كوسائل للديمقراطية المباشرة، ما قد يصبح مطلوبا في النهاية هو نظام مثل فيسبوك تديره الحكومة، ومصمم خصيصا لتحقيق أقصى قدر من النقاش والتصويت (ليفنسون، 2015، ص 347).

إن جماعات الدردشة والمناقشات الإلكترونية عبر الانترنت توفر مواقع جديدة للمواطنين لمناقشة القضايا العامة مباشرة، إن مواقع المعارضة / أو الدولية تعمل كمصادر بديلة للمعلومات والآراء، مع تحدي وضع برامج ووظائف للحفاظ على الأخبار التقليدية لوسائل الإعلام. إن الشبكات الخاصة بالنشطاء السياسيين والاجتماعيين تستخدم الشبكة العنكبوتية لجمع المعارضة العالمية الحقيقية والفعلية للصفوة السياسية التقليدية أو خلق أماكن بديلة لمناقشة القضايا التي أهملت من وسائل الإعلام الحاكمة والسائدة ورجال الصفوة، إن المرشحين المتطرفين والمتحدثين الرسميين قادرين على الدخول وحتى المساعدة في تشكيل المناظرة العامة إلى درجة قد يبدو مستحيل حدوثها في حقبة مبكرة، وأصبح في إمكان المواطنين الوصول إلى معلومات عن الحياة السياسية

والاجتماعية والاقتصادية مباشرة مع تجنب العديد من البوابات الإعلامية التقليدية (بريس، ويليامز، 2012، ص 118).

إن الفهم المطلق للأساليب التي توضح أن البيئة الإعلامية المتغيرة قد ساندت أو لم تساند الديمقراطية، تحتاج إلى تعريف موسع للمواطنة. إن الاختلافات بين الصفوة السياسية والثقافية والاقتصادية، وبين منتجي المعلومات ومستهلكيها، وحتى بين الصفوة وعامة الشعب أصبحت أكثر مرونة. وبالتالي فإن الأفكار العامة عن مسؤولية الصحافة التي تشكل النماذج التقليدية لوسائل الإعلام والسياسة يجب ان تمتد إلى الأفراد والمؤسسات الأخرى التي تؤثر في مصادر معلومات وسائل الإعلام الوثيقة الصلة بالسياسة، وبالمثل فإن الأفكار العامة عن المسؤولية المعرفية التي تطبق على الجماهير العامة يجب أن تتسع أيضا لتطبيقها على الصفوة السياسية، الثقافية والاقتصادية التقليدية على أي فرد أو منظمة التي لديها حرية الوصول إلى منابر وسائل الإعلام في الميادين العامة الممتدة (بريس، ويليامز، ص 120).

يطلق لفظ المتلقي على الفرد أو الجماعة ويراد به: "الشخص أو الجمهور الذي يستقبل ذهنه الرسالة الاتصالية في صورة رموز، ثم يقوم بترجمة هذه الرموز التي وصلته من المرسل، ويتفهم هذه الرموز، ويربط بين كل رمز منها ومعناه. (عبد الحليم، ص 56). ولاستيعاب هذه الرسالة يستخدم المستقبل عقله وقدراته واستعداده النفسية مثل التذكر والانتباه. (زكي بدوي ،ص 140).

يمكن اعتبار الجمهور المتلقي محور العملية الاتصالية، فالقائم بالاتصال في الخطاب السياسي الكفء، ثم صياغة رسالة الخطاب بطريقة جذابة وهادفة، واختيار الوسيلة الأنسب لبثها، كل هذه الأمور إنما هدفها التأثير في من يستقبل هذه الرسالة، من أجل تحقيق أغراض مختلفة، وهنا نتساءل: ما هو نوع الجمهور الذي يتوجه إليه الخطاب السياسي، هل هو جمهور خاص أم عام؟،وهل يتوجه الخطاب السياسي إلى الممارسين السياسيين؟، أم يتوجه إلى النخبة المثقفة الواسعة أم إلى عامة الناس أم إلى هؤلاء جميعا؟...

تتدخل الخصوصية الافتراضية هنا لتفرض نفسها بشكل ملفت فالمتلقي في الفضاء الافتراضي يلعب دور المتلقي والمرسل في آن واحد في سيرورة تفاعلية لا متناهية، لقد انخرط الخطاب السياسي في جزئيات هذا الفضاء الافتراضي التفاعلي. فالقائم على الخطاب السياسي لم يعد في حرية تامة لاختيار جمهوره المقصود فالفضاء الافتراضي بيد مستخدمين متعددي التوجهات والمشارب والايديولوجيات، ولا يكتفي المتلقي هنا بدور المشاهد أو المستمع، سيصبح فور تلقيه للخطاب جزءا منه ومشاركا فيه، بل وموجها لردود الفعل حوله.

فقد أجازت البيئة الافتراضية للمتلقي التدخل في مضمون الخطاب السياسي وتشكيل رسالته وتحوير مضمونه ومناقشته وفقا لتوجهاته الذاتية.

ثالثا: المناحي التفاعلية للخطاب السياسي عبر البيئة الافتراضية:

اهتم العلماء على اختلاف تخصصاتهم العلمية علماء النفس والاجتماع والإعلام والاتصال بالفضاءات الافتراضية، من حيث أنها تتيح الاتصال بين شخصين فأكثر وتفسح المجال للتفاعل الاجتماعي غير المحدود، وتمكن من تشكل علاقات افتراضية تقترب أو تبتعد عن العلاقات الحقيقية حسب طبيعة وجغرافية الأشخاص الذين نتحاور معهم. كما يمكن من خلالها تمكين الأشخاص من التعارف وتبادل الرسائل فيما بينهم وحتى من الكلام وجها لوجه عن طريق فتح الكاميرا، كما تحولت العديد من العلاقات التي كان الفضاء الافتراضي بمثابة نقطة انطلاق لها إلى علاقات حقيقية وانتهت في كثير من الأحيان بصلة القرابة، لذلك يقول " Timothy Leary": "إننا سنسجل في المستقبل القريب علاقات عبر الانترنت، مع أناس قد لا نراهم أمامنا أبدا فالعديد من الاتصالات والمقابلات ستتم من الآن فصاعدا عبر الشبكة" (Breton, 2000, p96).

يعرف "سيرج بروكس""Serge Broulx" الفضاء الافتراضي بأنه:"مجموعة من الأفراد يستخدمون منتديات المحادثة وحلقات النقاش، أو مجموعات الحوار...، والذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة، ويتقاسمون الأذواق والقيم والاهتمامات نفسها ولهم أهداف مشتركة" (proulx, 2004, p 07.).

يركز هذا التعريف بدوره على عناصر وهي الأفراد، الفضاء، الشعور بالانتماء والاهتمامات المشتركة. يوحي هاذان التعريفان بأن معظم العناصر التي تميز المجتمع الحقيقي صارت متوفرة في مجتمع جديد من نوع آخر، ويعيش في جغرافيا الفضاء الافتراضي ويتصف بقدر من النظم والقواعد والأدوار وبقدر من الملامح الثقافية المميزة (أبو الحمام، 2011، ص 90).

عرف "بسيوني ابراهيم حمادة" الفضاءات الافتراضية على أنها:"تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الانترنت، تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة، تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة يتواصلون فيما بينهم ويشعرون كأنهم في مجتمع حقيقي" (حمادة، د س ن، ص 34).

يحدد هذا التعريف العناصر المكونة للفضاء الافتراضي وهي: الأفراد، التواصل، الفضاء والاهتمامات المشتركة.

يتميز تعريف "هارولد راينغولد" بأنه أشمل التعريفات حيث يركز في تعريفه للفضاء الافتراضي على المقومين الاجتماعي والتكنولوجي، ذلك أن المجتمعات تنشأ أصلا بفعل الدافع الاجتماعي تجمعات اجتماعية في بيئة التكنولوجيا شبكة المعلومات، أي في ظروف تكنو إجتماعية بعدد كاف من المشاركين والأعضاء ويستمرون في تفاعلهم الاجتماعي رقميا لوقت كاف من الزمن، الأمر الذي يكفل لهم بناء شبكة من العلاقات الشخصية والجماعية المتبادلة في الفضاء الافتراضي الكوني (رحومة، د س ن، ص 4).

ويعتبر هذا التعريف الأقرب إلى الذهن بالنظر إلى توفيقه بين العامل التكنولوجي والاجتماعي.

انطلاقا من التعريفات المقدمة يمكن استخلاص مميزات الخطاب الإسلامي عبر الفضاء الافتراضي وهي:

ـ سرعة التغيرات التي تطرأ عليه بالنظر إلى سرعة التطورات التكنولوجية.

ـ كثرة المتفاعلين معه، مع اختلاف أعمارهم وبيئاتهم وأجناسهم ومستواهم التعليمي، في حين نجد العالم الحقيقي مقسم إلى طبقات اجتماعية، ويقوم التقسيم أساسا بناء على الإمكانيات المادية أو المستوى التعليمي لكل طبقة.

ـ تعدد الفضاءات التي يتواصل عبرها المتلقين في هذا الفضاء الافتراضي، حيث نجد فايسبوك، تويتر، غرف الدردشة، منتديات...

ـ أنه متاح لكل من يرغب في الاطلاع إليه والمشاركة في مضامينه.

ـ سرعة التفاعل: يعتبر الاتصال الوسيطي أهم ما يميز الفضاءات الافتراضية إضافة إلى طبيعة التفاعل الذي يتميز في غالب الأحيان بالفورية (ساري، 2008، ص 303).

يطلق كل من "ألبرتا روبرت""Alberta Ropert"و"ميشل جينكنسون""Michel Jenkinson" على الفضاء الافتراضي اسم المدينة التي لا تنام، فقد أصبحت الانترنت جزءا من حياة الناس، والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة، كما باتت تشكل أهمية كبيرة بالنسبة للعديد من الدارسين، كما أعلنت "ماريا باكردجيفا""Maria Bakardgieva" أن الحاسوب أصبح أسلوب حياة.

ـ في الفضاء الافتراضي ينتظم الأفراد خلف الشاشات أي أن تجمعهم لا يتحدد بمكان جغرافي معين.

ـ غياب الاتصال المباشر في الفضاءات الافتراضية، يحسب على الفضاءات الافتراضية أنها ألغت العديد من الميكانيزمات غير اللغوية، التي نفهمها من خلال تعابير الوجه في الاتصال المباشر كالابتسامة، علامات الرضا، علامات غير الرضا، إلا أنها غير كافية ولا يمكن أن تعوض مكانة الاتصال الشخصي.

ـ الاهتمام المشترك أو المصلحة المشتركة، هي أهم ما يدفع الأفراد إلى التجمع في جماعات افتراضية.

ـ توفر فرصة أكبر لكل أعضائها للتفكير بحرية والنقاش في كل المواضيع.
ـ يتميز الفضاء الافتراضي بأن له قواعد خاصة به يلتزم باحترامها كل من انخرط فيه وتتضمن عموما بعض المواد والقوانين، تشرح للأفراد كيفية الاستخدام وآداب التعامل مع المدردشين الآخرين، ولكل مجموعة قواعدها وقوانينها الخاصة بها.
ـ سرعة تداول المعلومات: أهم ما يميز أيضا الفضاءات الافتراضية وهي المحرك الأساسي لها.

رابعا: المقاربة التداولية في دراسة التفاعلية حول الخطاب السياسي:

للانتقال من الدلالة إلى البعد التواصلي للنسق اعتمدنا أيضا على المقاربة التداولية في التحليل وهي فرع من فروع السيميولوجيا، ويؤكد "بيرس" أنه يتم إدراك الوجود بواسطة العلاقة التفاعلية بين الذوات المتلفظة عبر الرسالة التبليغية، وتكشف المدلولات غير المستمرة في مقامات معينة، وتتحدد قصديات العلامة من خلال أثرها المنجز ومعرفة مصادرها وكيفيات استعمالها، ونرتكز على توصيف سيرورتها وعناصرها التأليفية، ونشرح علائقها بالمؤول عبر إحالاتها المختلفة (بن عمر،2011، ص 08).

ويؤكد علماء الاتصال المهتمين بالدراسات الخاصة بالفضاء الافتراضي أن للمعاني الضمنية دور حاسم في إنجاح عملية التواصل، حيث تعتبر الوجه الثاني للمعنى ودورها لا يقل أهمية عن المنهج الصريح، غير أنه وبخلاف هذا الأخير تتطلب اللجوء إلى معايير لا نصية كالسياق والمقام ونوايا المخاطبين وتوجهاتهم الفكرية وانتماءاتهم الاجتماعية والثقافية للكشف عنها داخل هذه المحادثات الإلكترونية (شايب، 2018، ص 25).

تقوم التداولية على عدة مفاهيم يمثل تحديدها أساس الدرس التداولي لوجودها متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات وهي: (أبو زيد، 2009، ص26-30).

ـ مفهوم الفعل: يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفظ دالة على المعاني، إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، هذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام، وقد قسّم أوستن الأفعال إلى إنجازية وتقريرية أو واصفة، بحيث يقترن في الأولى الإنجاز بالتلفظ نحو بعت، اعتقدت.. فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ نحو اقتربت الساعة، إلى جانب ذلك فقد قسم "سيرل" الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف(التأكيدات، الأوامر، الالتزامات، التصريحات، الإدلاءات) وهو تقسيم يصب في خانة المفهوم التداولي للفعل أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق.

ـ الجملة التعليق ومعنى القول: تأتي مساهمة في توسيع أفاق التحليل لتصبح بذلك إستراتجية هامة في التحليل، موضحة كيفية إنتاج المستخدمين للفعل الكلامي وقدرتهم على فهم المعاني المقصودة في إطار سياق اتصالي معين (شايب، ص 25-26).

ـ مفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره لكل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.

ـ مفهوم الكفاءة التواصلية: ويعتبر مفهوم الكفاءة إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق أوهي حصيلة إسقاط محور الفعل على محور السياق وبناء على ذلك تتحدد كفاءة وميزات المتكلمين.

إنّ سيرورة العمل التخاطبي للوصول إلى المعنى يتحدد عبر سيرورة خطية تنطلق من المتكلم الذي يحاول إنجاح خطابه، مرورا بمحتوى الرسالة وما يستلزمها من خصائص تضمن نجاح التواصل وصولا إلا احتياجات السامع الذي يكيّف الرسالة وفق احتياجاته. وإذا كانت التداولية تعنى بالجانب التواصلي وتحاول كما يرى "بيرس" أن تكون منهجا من أجل تقرير دلالة الألفاظ الغريبة، فإنها تُعنى أساسا في إجراءاتها التطبيقية بفهم

الجملة الواحدة من الكلام فتذهب في البحث عن طبيعة وضعها انطلاقا من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظمية أو المعطيات السياقية (مرتاض،2007، ص403).

تركز المقاربة التداولية في جانبيه النظري والتطبيقي على التموضع في مجال مفهومي يفرق بين وضع اللغة وبين استعمالها، ذلك أن دلالة الوضع كما يعرفها اللغويون هي دلالة الألفاظ والجمل على المعاني في حالتها الصورية المطلقة بغض النظر عن السياق التخاطبي بينما دلالة الاستعمال هي دلالة اللفظ والجملة على المعنى ضمن سياق معين.

لعلّ أبرز ما يظهر في العملية التخاطبية هو قيمة الخطاب المرسَل، أو مدى نجاح المُخاطب في إرسال خطابه وتبيان معناه، ويعد مقياس "غرايس" لمبادئ المحادثة معيارا هاما قدمه التداوليون في محاولة ضمان حد أدنى لضمان نجاح الخطاب، على اعتبار أن "غرايس" يعتبر المحادثة عملية مشاركة ومعاونة بين المتكلمين، فقد صاغ "مبدأ التعاون الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب وهو يرى أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية. (علي، 2004، ص99).

خامسا: استنتاجات:

إننا نعيش اليوم مرحلة العوالم الافتراضية بكل تمظهراتها، سمته الأساسية هي الإعلام الرقمي، والانترنت والكمبيوتر أدواته الأساسية، فقد أصبحت شبكة الانترنت الآن واحدة من أهم المصادر الغنية بالمعلومات يرجع إليها كثيرون في شتى المجالات والتخصصات. لما لها من تقنيات اتصالية جديدة ومتطورة كالمشاركة والتفاعلية. فالعالم إذن اليوم يواجه العديد من التطورات المختلفة التي لها الأثر البالغ على مستعملي شبكة الانترنت، ومن أهم هذه التطورات في عالم الانترنت مختلف المنصات الرقمية التي ظهرت وتطورت ولازالت في سيرورة تطورية غير منتهية.

وتزداد أهمية هذه المنصات الافتراضية على اختلافها على المستوى الدولي مع تنوع استعمالاتها، وازدياد عدد المستخدمين لها، ولا تنحصر أهمية الانترنت في مجال تبادل المعلومات، فهي تؤدي اليوم أدواراً سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية وثقافية هامة جداً في إطار البيئة الرقمية. وقد ساهمت هذه البيئة في الآونة الأخيرة في جذب الأنظار بعد تفجيره العديد من القضايا التي أثارت الرأي العام، فتداول الأخبار والصور ذات التوجه السياسي عبر وسائل الإعلام الجديدة، أرغم بعض الحكومات على اتخاذ قرارات، أو التراجع عن قرارات، بسبب الاحتجاج الجماهيري الواسع. وتكمن إيجابيات البيئة الافتراضية في سرعة الاتصال، والقيمة المعلوماتية، وضمان وصولها، وتحقيق التفاعل معها، وليس كونه إعلاماً مرسلاً من جانب واحد، مما خلق مساواة داخل المجتمع في الاتصال. وتجدر الإشارة عند الحديث عن الخطاب السياسي الافتراضي إلى النقاط التالية:

- تتعدد تشكلات الخطاب السياسي الافتراضي عبر التطبيقات التي تتيحها البيئة الرقمية المتعددة في شكل خطابات السنية عبارة عن تغريدات مختصرة ذات دلالات موجهة، كما يتشكل في شكل صورة بصرية ذات انتشار واسع ومتداولة بين عدد كبير من من المستخدمين، كما أن للفيديو السياسي حضور قوي عبر البيئة الافتراضية.
- إن للخطاب السياسي الافتراضي امتداد من الرسالة السياسية إلى المتلقي، حيث أنه انطلاقا من التفاعلية التي تتيحها منصات الفضاء الافتراضي أخذ المتلقي الدور الريادي عند فهم الخطاب السياسي، حيث أنه لم تعد الرسالة وحدها من يحمل مضمون الخطاب إنما تفاعل المتلقي جعل يجعل من الرسالة أكثر فهما وانتشارا، وربما كان للبنى التفاعلية الدور في رفض وتفنيد ما أراده المرسل بهذا الخطاب وتحوير معناه إلى اتجاهات أخرى مخالفة.

- تلعب السياقات التي انتج واشتغل ضمنها الخطاب دورا رئيسيا في فهمه وتحليله ومعرفة أبعاده وغاياته، حيث أنه وضمن البيئة الافتراضية يصعب جدا عزل الخطاب السياسي عن سياقاته الاجتماعية والتاريخية و الثقافية والسياسية، فمنطلقات الرجل السياسي القائم بالاتصال هي ما تجعل الخطاب السياسي يسير في مناحي دون غيرها و يحدد غاياته وأبعاده، كما تجعل منه محط اهتمام المتلقيمن عدمها.
- لقد أزالت البيئة الافتراضية الحدود بين المرسل والمتلقي في الخطاب السياسي، فلم يعد الخطاب السياسي الافتراضي حكرا على رجل السياسة أو الخبير في السياسي، بل أصبح أي مستخدم بغض النظر عن مستواه واهتمامه و توجهه إرسال خطاب سياسي وتحقيق الانتشار والتفاعل حوله بأي طريقة مثيرة للمتلقي، فغابت أصالة الخطاب السياسي وجودته في كثير من الأحيان، وأصبح المعيار عبر هذه البيئة هو الانتشار والتفاعل الكبير.
- خروج الخطاب السياسي الافتراضي من النمطية الكلاسكية التي تقيده في انتقاء الكلمات والأساليب التبليغية، وتجاوزه لفكرة الخطاب السياسي المناسباتي، الأمر الذي سهل من انتشار الخطاب و تداوله وتحديثة لمواكبة التغيرات المتسارعة الحاصلة في البيئة الافتراضية.

خاتمة:

بعد التطور التقني المسجل في تطور الوسائط الاتصالية وصولا إلى ذروته الراهنة لما يعرف بالعوالم الافتراضية و البيئة الرقمية ستكون القضايا السياسية متواجدة ضمن طروحات هذه المنصات وسيستفيد الخطاب السياسي من مقتضياتها التقنية والافتراضية من منظور جديد مختلف شكلا ومضمونا. لتحقيق بنية دلالية أعمق، وفهم أدق، وسيرورة تفاعلية، وأبعاد تداولية، هذه الغايات أعطت للخطاب السياسي قوى تجديدية معاصرة جعلت من ذا خصوصيات من مناحي شتى. وهو ماسعينا لاستجلائه من خلال دراستنا هذه. وبعد الدراسة النظرية التي تعرفنا من خلالها على مختلف زوايا الخطاب السياسي والخطاب السياسي الافتراضي على وجه الخصوص، وبعد التعرض لقضايا التفاعلية و خصوصيات البيئة الافتراضية خلصنا إلى أن البيئة الافتراضية ربطت الخطاب السياسي بعديد المناحي التجَدُدِية ضمن مقتضايتها وتطبيقاتها المتعددة حيث لا حظنا خطابات سياسية مليئة بالأفكار والمعاني وذات أهداف قصدية في شكل صور ثابتة في غاية البساطة والجمالية، وأحيانا ضمن رسائل لغوية شاملة ومختصرة، أو ضمن فيديوهات تستجيب للمتطلبات الشبابية العصرية.

فتحققت بذلك أبعاد تداولية و تفاعلية وسيروراتها حول الخطاب الإسلامي الإلكتروني عبر مختلف المنصات الافتراضية، فقد أتاحت الشبكة العديد من التطبيقات التفاعلية للمستخدمين حول الخطابات السياسية المطروحة خاصة تطبيق التعليق الذي اعتبر خطابا سياسيا موازيا لا يقل أهمية عن الخطاب الذي أراده المرسل.

قائمة المراجع:

الكتب:

أبو الحمام، عزا، (2011)، الإعلام والمجتمع، الأردن، دار أسامة.
أبو زيد، نواري سعودي، (2009)، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
بدوي، أحمد زكي، (1985)، معجم مصطلحات الإعلام، القاهرة،بيروت، دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني.
بريس، اندريا ، ويليامز، بروس، (2012)، البيئة الإعلامية الجديدة، تر: شويار زكي، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.
حمادة، ابراهيم بسيوني، (د.س.ن)، حرية الإعلام الالكتروني الدولي وسيادة الدولة، مع إشارة خاصة إلى الوضع في الدول النامية، القاهرة، مركز الدراسات وبحوث الدول النامية.
رحومة، علي محمد، (د.س.ن)، تنمية المجتمعات الافتراضية عوامل نجاح جديدة للتطوير الشبكي التكنو-اجتماعي، ليبيا معهد النفط الليبي.
فتح الله،عبد الناصر، (2002)، صفقوا لخطبة الزعيم، الاتصال السياسي في المغرب، الرباط ، مطبعة أمبريال.
عبد الحليم، محي الدين، (1984)، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، القاهرة، الرياض، مكتبة الجانجي، دار الرفاعي.
علي، محمد يونس، (2004)، مدخل إلى اللسانيات، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجديد المتحدة.
العماري، عبد الرحيم، (2005)، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر، الدار البيضاء ، منشورات زاوية للفن والثقافة، مطبعة دار القروين.
مرتاض، عبد الملك، (2007)، نظرية النص الأدبي، الجزائر، دار هومة.

ليفنسون، بول، (2015)، أحدث وسائل الإعلام الجديدة، تر: هبة ربيع، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2015.
وكيل، أودونيل، (1413 هـ)، الدعاية والنظريات والتوجهات الحديثة، تر: عثمان العربي، الرياض، دار السبل للنشر والتوزيع والطباعة.

المذكرات:

بوفليجين، يوسف، (2005)، العولمة في الخطاب السياسي لرئيس الجمهورية الجزائرية، جامعة الجزائر، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال.
بولحية، هدى، (2012)، تحليل الخطاب السياسي الثوري، جامعة الجزائر2، مذكرة ماجستير في الترجمة.
شايب، نبيل، (2017،2018)، الأبعاد الدلالية للمحتوى الثقافي في مواقع التواصل الاجتماعي لدى الشباب الجزائري، جامعة الجزائر3، أطروحة دكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال.
غمشي، بن عمر، (2010،2011)، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني: قصص الأنبياء في القرآن الكريم نموذجا، جامعة الجزائر3، أطروحة دكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال.
طبي، محمد، (2012)، ترجمة الاستعارة في الخطاب السياسي، جامعة الجزائر2، مذكرة ماجستير في الترجمة.
المريط، مصطفى، (2010)، الاتصال السياسي والتسويق الانتخابي، مذكرة ماجستير، جامعة محمد الأول، المملكة المغربية.
موساوي، يمينة ليلى، (2010،2011)، التعابير المسكوكة ودورها في الخطاب السياسي، جامعة تلمسان، مذكرة ماجستير في علم اللغة الحديث.

المراجع باللغة الأجنبية:

Baylon, Christan, (1996), sociolinguistique société , langue et discours, nathan université.
Boudroaggard, Jean, (1985), pour une economie politique de signe, paris.
Breton, Philipe, (2000), Le Culte de l'internet, une menace pour le lien social, la découverte, paris.

Cottet, Jean Marie, (S.A.E),Gouverner c'est paraitre, France, PUF, corrigée.
Proulx, Serge, (2004), Les communautés virtuelles construisent-elles du lien sociale?, communication, colloque international, L'organisation média.Dispositifs médiatiques, sémiotiques et de médiations de l'organisation, Université Jean-Moulin, Lyon.